الخوري أرسانيوس الفاخوريّ (١٨٠٠ - ١٨٨٣)
أضواء جديدة على سيرته ومؤلّفاته

هيام ملاّط

الخوري أرسانيوس الفاخوريّ من رجالات النهضة الأدبيّة والثقافيّة في لبنان. تقلّب في مراكز القضاء خلال النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، وقد أتاحت له الظروف السياسيّة ومعاطاته الشخصيّة، ولا سيّما صداقته مع القنصل البريطانيّ ريتشارد وود، أن يتوقّف عن كثب إلى حقائق سياسيّة بارزة تتعلّق بأزمة لبنان في أواسط القرن التاسع عشر، قام بتدوينها في تاريخ له ما زال مخطوطًا، فمنا بضبطه وتحقيقه لإصداره. وكانت هذه المبادرة مناسبة لإلقاء أضواء جديدة على سيرة الخوري أرسانيوس الفاخوريّ ومؤلّفاته.

أمّا الخوري أرسانيوس الفاخوري، صاحب هذا التاريخ، فهو فارس ابن يوسف إبراهيم الفاخوري، ووالدته شقيقة سعد الخوري، مدبّر الأمير يوسف شهاب، «وقد ورثت من أهلها ربع قرى بلاّ والحصين ومغر الأحول (وهي قرية في الكورة)»[١]. ولد في بعبدا عام ١٨٠٠[٢] في منزل كائن على تلّة صغيرة بالقرب من كنيسة بعبدا الرعائيّة، حيث قام الشاعر الياس إدّه ببناء دارته وبجوار المنزل الذي بصر فيه النور الشاعران تامر ملاّط وشبلي ملاّط. وكان لفارس شقيقان سعد وخليل[٣].

(١) داغر: لبنان ـ لمحات عن تاريخه وآثاره وأسره، جونية، ١٩٣٨، ص ٥٣٢

(٢) يقول الأب شيخو في المقال المشار إليه أنّه ورد في العدد ٣٨٧ من جريدة المصباح أنّه ولد سنة ١٨٠١ (المشرق، سنة ١٩٠٠، ص ٦٠٦). ولكن استقرّ رأي جميع الأدباء والمؤرّخين على أنّ ولادة الخوري أرسانيوس كانت عام ١٨٠٠.

(٣) خلافًا لما ورد في ترجمة الأب شيخو للخوري أرسانيوس الفاخوريّ الذي قال إنّ شقيقه كان اسمه يوسف، دون الإشارة إلى اسمه الحقيقيّ قبل دخوله الكهنوت.

أمّا خليل، الذي أخذ اسم يوسف، عندما رقّي إلى درجة الكهنوت، فإنّه يتبيّن من سجلّ أسماء تلامذة مدرسة عين ورقة بين ١٧٩٧ و١٨٧٧، الذي قام بنشره الأب ناصر الجميّل[١]، أنّ خليل ابن يوسف الفاخوريّ من بعبدا قد دخل في شهر شباط ١٨٢٧ إلى مدرسة عين ورقة وهو يبلغ السادسة عشرة من العمر، أي أنّه من مواليد ١٨١١. وقد أشير في السجلّ، مقابل اسمه، أنّه دخل الكهنوت. والخوري يوسف الفاخوريّ خدم أبرشيّة بيروت أربعين سنة وكان من جملة المرشّحين للأسقفيّة بعد موت المطران طوبيّا عون. وقيل إنّه عرضت عليه الأسقفيّة فرفضها تواضعًا، على حدّ قول الأب شيخو[٢].

القسم الأوّل: حياة الخوري أرسانيوس الفاخوريّ (١٨٠٠ - ١٨٨٣)

يقول نسيم نوفل في مؤلّفه عن يوسف بك كرم «إنّ عائلة الفاخوريّ من كفار العربيّ في شماليّ لبنان، وإنّ لقب الفاخوريّ تغلّب عليها عندما نزح أحدهم وسكن قرية بعبدا من ساحل بيروت وضمن فيها الفاخورة. وقد اشتهر منها المطران جبرائيل (والأصحّ يوسف) الفاخوريّ والخوري أرسانيوس الفاخوريّ الذي كان قاضيًا لحكومة الجبل، في غزير عام ١٨٣٨، مع جرجس بيمين من أهالي إهدن»[٣].

أمّا الخوراسقف يوسف داغر التّوريّ فيقول في تاريخه[٤] ما يلي بعد سرد ما ورد في كتاب نوفل. «والأصحّ أنّ بيت الفاخوريّ فرع من آل بيروتيّ، ضمن الجدّ القديم فواخر بيروت فلقّب بالفاخوري وانتقلت سلالته إلى بعبدا.

---

(١) الأب ناصر الجميّل:
Les échanges culturels entre les Maronites et l'Europe, Beyrouth, 1984, Tome 2, p. 1061

(٢) الأب شيخو، المرجع المذكور، ص ٦٠٧.

(٣) نسيم نوفل، كتاب يطل لبنان الشهير الطائر الصيت المرحوم يوسف بك كرم: ص ٨٣، طبع في المطبعة الوطنيّة في الإسكندريّة عام ١٨٩٦.

(٤) الخوراسقف يوسف داغر التوريّ: لبنان ـ لمحات عن تاريخه وآثاره وأسره، جونيه، ١٩٣٨، ص ٥٣١.

ومنهم المطران يوسف الفاخوريّ مطران اليمونة الذي أمر بأن يجنّز قبل وفاته على ما جاء في التاريخ الموجود عند الخوري يوسف العنداريّ في بلاّ[1]. ويقول الخوراسقف داغر إنّه «اشتهر بالتقى والوعظ، ومن تلامذته أفراد من آل إدّه ونقّاش وقيقانو، نخصّ بالذكر منهم مارون نقّاش ونعوّم قيقانو الذي مثّل دورًا هامًّا في عهد المتصرّفين وتقلّب في المناصب العالية. وقد وقف الخوري يوسف الكرسيّ بيروت أربعين ألف قرش ذهب، على ما هو مدّون في السجلاّت»[2]. والخوري يوسف هو الذي وقف على طباعة بعض مؤلّفات شقيقه أرسانيوس، كما سنذكر فيما بعد. أمّا الأخ الثاني سعد فيقول الأب شيخو أنّ وفاته كانت عام ١٨٥٩[3]، ولم يذكر لنا المؤرّخان أيّ أمر بشأنه.

أمّا يوسف الفاخوري، والد فارس، فتوفاه الله ميتة صالحة عام ١٨٢٥. ورثاه ابنه فارس في أوّل قصيدة بلغتنا من نظمه أورد منها الأب لويس شيخو بعض الأبيات في ترجمته المذكورة للخوري أرسانيوس[4].

وهذا الأخير ظهرت على وجهه ملامح الذكاء منذ صغره، فأرسله والده سنة ١٨١١ إلى مدرسة الروميّة فبقي فيها مدّة[5]، ثمّ قصد مدرسة عين ورقة الشهيرة، وهي أمّ مدارس لبنان ومطلب كلّ لبنانيّ رغب العلم والشهرة والثقافة في تلك الأيّام، بحيث إنّه يتبيّن من سجلّ أسماء الطلاّب هذه المدرسة أنّ «فارس ابن المعلّم يوسف الفاخوريّ من بعبدا قد دخل المدرسة في ٤ تمّوز ١٨١٩[6]. ولكن لم يبق سوى خمسة أيّام، ثمّ عاد عام ١٨٢١ وارتسم كاهنًا باسم أرسانيوس[7].

---

(١) يقول الأب لويس شيخو في ترجمة الخوري أرسانيوس الفاخوريّ المنشورة في مجلّة المشرق أنّ أبا إبراهيم (جدّ الخوري أرسانيوس) كان بدعى يوسف، ويسكن بيروت فدعي للملك بالبيروتيّ، ولقّب بالفاخوريّ لأنّه ضمن فواخيرها مدّة، ثمّ انتقل إلى بعبدا (المشرق، ١٩٠٠، ص ٦٠٦. ملاحظة رقم ٢).

(٢) داغر، المرجع المذكور، ص ٥٣٣.

(٣) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦٠٧.

(٤) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦٠٨.

(٥) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦٠٧.

(٦) خلافًا لما ورد في ترجمة الخوري أرسانيوس الفاخوريّ للأب شيخو الذي زعم فيها أنّه دخل إلى مدرسة عين ورقة عام ١٨١٤ (تراجع المشرق ١٩٠٠، ص ٦٠٧).

(٧) ناصر الجميّل: المرجع المذكور، صفحة ١٠٥٧.

ولمّا دخل فارس تلك المدرسة، انكبّ فيها بكلّ نشاط إلى درس العربيّة بكلّ فروعها والطليانيّة واللاتينيّة والسريانيّة والمنطق والفلسفة واللاهوت النظريّ والأدبيّ والحقّ القانونيّ والشريعة المدنيّة، ونبغ بجميعها حتّى أصبح ممّن يشار إليهم بالبنان في عصره.

وممّا تفرّد به درس التاريخَين المدنيّ والدينيّ. روي عنه أنّه كان يسرد حوادث الأزمنة السالفة ببداهة عجيبة حتّى إنّ مَن يسمعه كان يخيّل له أنّه يقرأ كتابًا مطوّلاً بإزاء عينَيه، لا أنّه يذكر ما استظهره بالدرس وحفظه على ظهر القلب. وكان مع ذلك كلفًا بأخبار العرب، عالمًا بأيّامهم واعيًا لأمثالهم، يروي عن قدماء شعرائهم ما تيسّر له من القصائد. فجادت بذلك قريحته وأخذ ينظم الشعر الجيّد السلس[1].

وما لبث أن انتدبته إدارة مدرسة عين ورقة إلى التعليم سنة ١٨٢٤، فكان أستاذاً ماهرًا يحسن تلقين الدروس. ومن تلامذته، في هذه الحقبة، غبطة البطريرك السعيد الذكر بولس مسعد. وقد روي الأب شيخو الحادثة التالية التي حصلت مع الخوري عندما كان أستاذًا، وقد أخذ يؤنّب في يوم من الأيّام تلميذه البطريرك العتيد، لبعض قصور صدر منه في دراسة أمثولته. «فقال له أحد الكهنة الأفاضل اسمه عبدالله: يا معلّم فارس، أهكذا توبّخ من يصير يومًا بطريركًا على الطائفة المارونيّة؟ وكان الخوري أرسانيوس يروي بعدئذٍ هذه الفكاهة ويتعجّب من فراسة قائلها»[2].

---

(١) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦٠٧.

(٢) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦٠٨. لم نتمكّن من تأكيد هذه الرواية، كما أنّنا لم نتمكّن من تحديد هويّة الكاهن عبدالله، رغم مراجعتنا لائحة أسماء تلاميذ مدرسة عين ورقة لعامَي ١٨٢٤ و١٨٢٦. فلا يوجد أحد يحمل اسم عبدالله من التلاميذ الذين دخلوا المدرسة مع البطريرك مسعد عام ١٨٢١، وليس هناك سوى شخصان حملا اسم عبدالله، على ما يستدلّ من السجلّ، وعلمًا أنّهم لم يدخلا الكهنوت بين ١٨٢٠ و١٨٢٦، عشيّة سفر البطريرك مسعد إلى روما لمتابعة دروسه وترقية الشمّاس فارس إلى رتبة الكهنوت عام ١٨٢٦ واستدعائه إلى الكرسيّ البطريركيّ. وهذان الشخصان هما: عبدالله ابن إيليّا غصن، من الشيّاح، دخل المدرسة في ١٥ نيسان ١٨٢٠، وهو يبلغ من العمر الرابعة عشر، وعبدالله طنّوس الأسمر، من فرق الخراب، دخل المدرسة عام ١٨٢٥، وهو يبلغ من العمر الرابعة عشر أيضًا.

وبقي الشمّاس فارس في منصب التدريس سنين إلى أن اتّصل خبره بغبطة السعيد الذكر البطريرك يوسف حبيش، فاستدعاه إلى كرسيّ البطريركيّة في بكركي ورقّاه إلى رتبة الكهنوت سنة ١٨٢٦ ودعاه باسم أرسانيوس وكان بتولاً[1].

ويتبيّن من مراجعة الجارور الخاصّ بالبطريرك مسعد، عندما كان كاهنًا وكاتمًا لأسرار البطريركيّة، أنّ الخوري أرسانيوس كان يراسل البطريرك العتيد. وقد عثرنا على رسالتين منه موجّهتين إلى الخوري بولس مسعد، ننشرها للمرة الأولى، عن الأصل الموجود في جارور البطريرك مسعد في بكركي، المخصّص له عن الحقبة التي كان فيها كاهنًا وكاتمًا لأسرار البطريركيّة.

في ٢٢ تمّوز ١٨٣٠ وجّه الخوري أرسانيوس الفاخوريّ الرسالة التالية إلى الخوري بولس مسعد - ضمّنها في نهايتها إشارة إلى قضيّة أسعد الشدياق التي شغلت المقامات الزمنيّة والدينيّة خلال فترة طويلة من أيّام البطريرك حبيش.

«٢٢ تمّوز سنة ١٨٣٠ للخوري بولس مسعد

حضرة الأب المحترم.

غب لثم أياديكم الطاهرة والتماس درر أدعيتكم الفاخرة تبدي أنّ الداعي لرقمه هو أوّلاً مجرّد السؤال عن غالي رياضكم وكمال راحتكم إن شاء الله تكونوا بكلّ راحة وانشراح نؤمل التطمين على ذلك. والثاني أنّه قد بلغنا في الأخبار المتناقلة خبر ارتقايكم درجة الكهنوت السماويّة إلاّ أنّنا غودرنا من المخبرين ما بين تحقيق ذلك وعدمه مترددين ثمّ بعده فزنا بمَن رجّح بل فضّل التحقيق على عدمه وأكّد لنا صدق الخبر المذكور فشملنا وقتئذٍ سرور لا يوصف وحبور لا يكيّف وبادرنا حالاً برقمه تهنية بما أنعمه الباري الجواد عليكم من وفور سخاية وهو انتخابه إيّاكم إلى هذه النعمة الفايقة والدرجة السامية فبالحقيقة أنّ الروح القدس قد انتخب مَن هو مزيّن بالأوصاف الفريدة ومجمّل بالخصال الحميدة المقتضي وجودها فيمَن يدعوه تقدّس اسمه لاقتبال هذه

(١) شيخو، المرجع المذكور، صفحة ٦٠٨.

الدرجة المختصّة بخدمته عزّ وجلّ وأنّكم أهل لـذلك فلتكن درجة مباركة وعربون خلاص نفسكم تخدمون بها وبالتي أعلا زمانًا مديدًا وأنتم بأكمل النعم والتوفيق وأتمّ الرياضة والراحة والانشراح ونؤمل كلّ وقت صلة أسطر بركتكم المطمّنة على غالي رياضكم مهما يلزم من الخدمة لا تتعبونا ونقبل أياديكم.

في ٢٢ تمّوز ١٨٣٠

طالب دعاكم
الخوري أرسانوس الفاخوري

ثمّ إنّ المخبر قد أشفع وتر خبر ارتقايكم المذكور المسر بخبر ثان قد زادنا سرورًا وأنعم فؤادنا حبورًا وهو أنّ ابن عمّتكم أسعد قد هجع عمّا كان عليه وغيّر تلك الحالة ورجع إلى إيمانه الأوّل الحقيقيّ وأخرج من حيث كان. فنؤمل أنّ حسن عندكم تكرّموا علينا بتعريف حقيقة الأمر وكيف جرى ذلك وكيف تمّ مفصّلاً ولا مواخذة بتعب سرّكم وإن كان ذلك حقيقيًّا أهدوه من نحونا ما وجب بعد السؤال عن صحّته».

وفي ١٨ تمّوز ١٨٣٧، أرسل الخوري أرسانيوس الفاخوريّ برسالة إلى الخوري بولس مسعد يقول له فيها:

«حضرة الأب الجزيل الاحترام،

غب لثم أياديكم الطاهرة والتماس درر أدعيتكم الفاخرة نعرض أنّه لفي أيمن أنّ وفد إلينا تحريركم المرقّم في ١٦ الجاري وحمدناه على رفه نواحيكم السليم ومن نحوه بحوله تعالى وحسن دعاكم حايزون تمام الصحّة المرجو لحضرتكم أكملها وأحسنها فربّنا يديم لنا حسن معروفكم وودّكم وجوابكم السابق وصل لنا. والبيت المفرد مع البيتين المتضمّن بها عدد النجوم السيارة والأبراج المرقومين بجانب تحريركم اطّلعنا عليهم قد انسرينا بهم جدًّا وصرنا نضعهم بشرح الديوان الذي تتمنّاه وقابلناه من مدّة فالموجود منه الآن سبع أو ثمان نسخ تامّة وحسب أمر غبطته درّسنا الأولاد الطبيعيّات وقبل تاريخه بيوم بديناهم في درس الذمّة وابتدأوهم في الأفعال البشريّة تبقوا تخبروا غبطته في وقت مناسب غب أهدايه من نحونا ما وجب منّا مواظبي أدامه الطاهرة

والسؤال عن شريف خاطره. ومن نحو ولدكم عبدالله الحلبيّ بلغ الآن في القراءة ستار السبت بالشحيمة ولكنّها مستقضي فيها وجدنا له شحيمة كاملة فإن تيسّر معكم شحيمة كاملة له أرسلوها له ونحن نوفي ثمنها. ومن الجهة رغبته كان أظهر قلّة رغبة عملنا له كم كف فاصطلح فإن شاء الله بدعاكم وهمّتكم يصحّ وتحصل منه الإفادة للغير والغاية المقصودة منكم ومنّا هذا غب الرجا بأن تطمّنوا دائمًا عن صحّتكم المأثورة لأنّها عندنا أفضل ما يومل وأشرف ما يسأل مكرّرًا لثم أياديكم.

في ١٨ تمّوز ١٨٣٧

الداعي لكم
الخوري أرسانيوس الفاخوري»

وتعود إلى السيرة التي كتبها الأب شيخو فنقول عن هذه الحقبة إنّ البطريرك حبيش رغب «أن يتولّى الخوري أعمال القضاء في جبل لبنان فوجّهه إلى المطران جبرائيل الناصريّ»[1] ليأخذ عنه الفقه. وهذا ما فعله الخوري أرسانيوس فقد درس الفقه «حتّى أتقن أصوله وأدرك متاعبه. ثمّ استدعاه إليه البطريرك ثانية نحو سنة ١٨٢٧ واتّخذه كاتبًا لأسراره في بكركي فلزم الكرسيّ البطريركيّ ثلاث سنوات يخدم طائفته بما عنده من الغيرة والنشاط لا تأخذه في إتمام واجباته لومة لائم. ثمّ طلب القاصد الرسوليّ لوزانًا من غبطة البطريرك المذكور كاهنًا تقيًّا عالمًا يعرف جيّدًا اللغتين العربيّة واللاتينيّة ليتّخذه له كاتبًا وترجمانًا في شؤون القنصلية. فصدر أمر البطريرك إلى كاتب أسراره ليتحوّل إلى هذا المنصب الجديد. فقام الخوري أرسانيوس بهذه الوظيفة أحسن قيام مدّة سنة حتّى تعيّن القاصد أسقفًا على بيالا في إيطاليا»[2].

وفي سنة ١٨٣١ عاد الخوري أرسانيوس إلى التدريس بإذن من البطريرك حبيش في مدرسة مار عبدا هريرينا. وكان يدرّس فيها العربيّة واللاتينيّة «وأحسن الخوري أرسانيوس في هذه المدرسة التعليم والتدقيق وأجاد في الالقاء

(١) يراجع في شأن المطران جبرائيل الناصري، مجلّة أوراق لبنانيّة، السنة الثالثة، ١٩٥٧، ص ٣٧ - ٣٨.

(٢) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦٠٩.

والتثقيف. وممّا يخبر أنّ تلاميذه حازوا جميعهم قصب السبق ونالوا الرتب الممتازة في لبنان منهم سيادة الخبر العالم المفضال يوحنّا الحبيب مؤسّس جمعيّة المرسلين في الكريم والطيّب الأثر الشيخ بشاره الخوري والخوري عبدالله العقيقيّ الذي قضى في الجبل على أيّام رستم باشا والخوري أنطون حبيش والخوري فرنسيس زوين رئيس دير مار روحانا والدكتور غالب البعقليني وغيرهم الذين اشتهروا في زمانهم بمعرفة اللغات والآداب».

ولكن يتبيّن من مراجعة ترجمة المطران يوحنّا الحبيب[1] أنّه لم يدخل يومًا إلى مدرسة مار عبدا هرهريا، كما أنّ لحد خاطر قد أشار في كتابه عن الشيخ بشاره الخوري الفقيه إلى كلام الأب شيخو قائلاً[2]: «والذي عرفناه بعد التنقيب في مختلف المراجع أنّ الشيخ بشاره لم يتتلمذ بتّة للخوري أرسانيوس في مدرسة مار عبدا هرهريا، والممكن التسليم بصحّته: إنّ هذا الكاهن جاء طالبًا إلى مدرسة عين ورقة وهو باسمه العالميّ فارس في سنة ١٩١٤[3]، ثمّ انتدب للتعليم فيها في السنة ١٨٢٤ حتّى أواخر السنة ١٨٢٦، وإذا كان الشيخ بشاره دخل عين ورقة في آيار من هذه السنة الأخيرة، يمكن الظنّ بتتلمذه له خلال بضعة أشهر حتّى آخرها وهو في مستهلّ دخوله».

ويبدو أنّ فترة التعليم هذه لم تدم طويلاً لأنّه، في سنة ١٨٣٢، عُيّن قاصد رسوليّ جديد في لبنان، فطلب إلى السيّد البطريرك يوسف حبيش أن يرجع إلى كرسيّ القصادة الكاتب السابق فلبّى غبطته طلب القاصد وخدم (أي الخوري أرسانيوس) ٦ سنوات القصادة الرسوليّة بكلّ نشاط وهو الذي عرّب المناشير التي ألّفها السيّد «دوفرني D'Auvergne» (القاصد الرسوليّ) وطبع منها قسمًا في الشوير وقسمًا في مطبعة طورسينا».

وكان الخوري أرسانيوس يرافق القاصد الرسوليّ في أسفاره كلّها ويتولّى معه الإرشاد والرياضات الروحيّة. ولمّا بلغ أمرُ الكرسيّ في سنة ١٨٣٦ السيّد دوفرني، يوعز إليه بأن يذهب إلى بغداد ويصلح خللاً وقع في كنائس تلك

---

(١) الأب يوحنّا المنداريّ، المطران يوحنّا الحبيب، ١٩٨٠.

(٢) لحد خاطر، الشيخ بشاره الخوري الفقيه، بيروت ١٩٥٦ ص ٤١ ـ ٤٢.

(٣) وهذا خطأ كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

البلاد، خرج معه الخوري أرسانيوس، بيد أنه ابتلي بمرض في اللاذقيّة فاضطرّ إلى الرجوع إلى لبنان.

«وتوفي بعد ذلك بقليل (القاصد الرسوليّ) في ديار بكر مصابًا بالهواء الأصفر في ١٢ تشرين الأوّل سنة ١٨٣٦، وبقي الخوري أرسانيوس زمنًا معتزلاً عن الأشغال في بيته، بيد أنّ كثيرين أخذوا يتواردون إليه ليتلمذوا له ومنهم السيّد ريشارد وود «Richard Wood»، (١٨٠٦ ـ ١٩٠٠) أحد رجال الدولة الإنكليزيّة، وكان كاثوليكيًّا ذا جاه عظيم ونفوذ كبير تعلّم اللغة العربيّة عند الخوري أرسانيوس فأتقنها. وقد امتدح المعلّم تلميذه بعد ذلك سنة ١٨٤١ بقصيدة عامرة الأبيات أثنى فيها عليه لسعيه في مساعدة الدولة العلية ونجاة سورية من الدولة المصريّة... وبقي السيّد وود مدّة في سورية، تربطه والخوري أرسانيوس روابط الألفة والولاء. ولما استرجعته دولته إلى إنكلترّه، أبى أن يعود دون أن يشكر لأستاذه فضله، فقدّم له مبلغًا من المال يدفع له كراتب سنويّ ما دام حيًّا، ولورثائه بعد وفاته، فرفض الخوري هبته لشرف نفسه وكرم طباعه. وقد سنحت الفرصة لهذا الرجل الشريف أن يمرّ ببيروت منذ ثلاث سنوات (أي ١٨٩٧ لأنّ الأب شيخو كان يكتب عام ١٩٠٠) فأحبّ أن يفتقد أستاذه القديم في لبنان. ولمّا علم بوفاته بدت على وجهه إمارات الحزن وطلب أن يجتمع ببعض آله الكرام ليبثّ لهم ما انطوى عليه صدره من عواطف المنّة لمعلّمه السابق. فلمّا رآهم أخذ يبكي متأثّرًا لمنظرهم وأفاض أمامهم بمديح الخوري أرسانيوس صديقه الحميم». ولنا عودة إلى هذه الصداقة بين الشخصين.

وفي سنة ١٨٣٨، وعلى أثر وفاة المطران جبرائيل الناصرجي[1] قاضي نصارى جبل لبنان[2] ومعلّم الخوري أرسانيوس الفاخوريّ في مادّة الفقه، قرّر

(١) يراجع في شأن المطران جبرائيل الناصريّ: أوراق لبنانيّة، السنة الثالثة ١٩٥٧ ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) يراجع في شأن القضاء في لبنان:

Ibrahim Aouad. *Le Droit privé des Maronites au temps des émirs Chéhab.* Geuthner, 1934.

ـ الأب جرجس أبي سمرا وجان باز: القضاة الكهنة في لبنان، مجلّة المنارة المجلّد ١٨، عام ١٩٤٧، ص ٣٥١ وصاعدًا.

الأمير بشير الثاني الشهابيّ تعيّن الخوري أرسانيوس خلفًا للمطران الناصريّ، وكان مركز القضاء في جونيه[1] فأتاها الخوري أرسانيوس «واستمرّ يقضي في مركزه بكلّ حقّ وعدل. وكان هذا الرجل البارّ لا يأخذ بالوجوه ولا يجارى أحدًا في الحكم وينتصر للضعيف من القويّ وللفقير من القدير حتّى شاع فضله في كلّ لبنان. وكانت الدروز والمسلمون فضلاً عن النصارى يتحاكمون إليه ويرضون بما قضى لما يعلمون في استقامته ونزاهة نفسه. وكان مع ذلك لا يحبّ هذه المناصب الشريفة ويؤثّر عليها العزلة»[2]. وبعد اعتزال الأمير بشير الحكم طلب الخوري اعتزال القضاء ولكن الأمير حيدر اللمعيّ استبقاه في مركزه وعيّنه الوزير أسعد باشا مشير أيالة صيدا وطرابلس عضوًا في مجلس المسلوبات في بيروت في دعوى النصارى والدروز سنة ١٨٤٣. «ثمّ عاد الخوري إلى أعمال القضاء فقام بأعبائها حتّى القيام مدّة أربع عشرة سنة إلى أن حصل له مرض في عينيه فانتهز هذه الفرصة ليقدّم استعفاءه واحتجّ بقصوره عن إتمام واجبات مهنته فصُرف من رتبته عزيزًا مكرّمًا سنة ١٨٥٦»[3]، ـ والأصحّ هو ١٨٥٢، على حدّ قول المطران يوحنّا حبيب[4] الذي أشار إلى أنّ خروجه منه كان بأمر من المجمع المقدّس» ـ وقد لازم منزله في غزير حتّى وفاته في ٢٧ تشرين الأوّل ١٨٨٣، دون أن ينقطع عن ممارسة التعليم ونظم الشعر والخطب على ما ورد في ترجمة آخر أيّام حياته في مقال الأب شيخو.

هذا ما ورد في ترجمة الأب شيخو للخوري أرسانيوس في مقاله في مجلّة المشرق، ولكن تقضي علينا الأمانة العلميّة والتاريخيّة الإشارة إلى أنّ هناك عدّة مراسلات في محفوظات بكركي لا تزال غير منشورة تتعلّق بموضوع اعتزال أو

ـ وجيه خوري، القضاء في لبنان على عهد الحكم الإقطاعيّ، مجلّة المشرق المجلّد ٣١، سنة ١٩٣٣، ص ٨١.

ـ الأب يوسف زيادة، القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الرومانيّ، ١٩٢٩.

(١) يراجع كتاب إبلاغ التعيّن إلى البطريرك حبيش في أوراق لبنانيّة، السنة الثالثة، ١٩٥٧، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩، وهو مؤرّخ في ١٨ آب ١٨٣٩.

(٢) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦١١.

(٣) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦١٢.

(٤) الأب يوحنّا العنداريّ، المطران يوحنّا حبيب، ص ٦٥ ـ ١٩٨٠.

إعفاء الخوري أرسانيوس الفاخوري من منصبه، رغبنا في نشر البعض منها تنويرًا للحقيقة التاريخيّة ـ علمًا بأنّ الأباتي بطرس فهد قد عثر في محفوظات المجمع المقدّس في الفاتيكان على بعض المراسلات بشأن الخوري أرسانيوس الفاخوريّ أثبتها في الجزء الأوّل من مؤلّفه الخاصّ بمطارنة الموارنة وأساقفتهم في القرن التاسع عشر.

وثائق حول إعفاء الخوري أرسانيوس من منصب القضاء

والواضح من الوثائق التي ننشرها هنا للمرّة الأولى أنّ إعفاء أرسانيوس الفاخوريّ من منصب القضاء جاء بعد أخذ وردّ وأنّ أزمة سياسيّة نشبت آنذاك، تدخّل فيها القناصل، ومنهم القنصل الفرنسيّ والقنصل ريتشارد وود الصديق الحميم للخوري أرسانيوس. وهذه الوثائق محفوظة في أرشيف البطريركيّة المارونيّة في بكركي وقد تمكنا من مراجعتها بفضل الأب بولس صفير، حافظ المكتبة.

فالوثيقة الأولى هي للبطريرك مسعد وجّهها إلى المطران طوبيّا عون بتاريخ ٩ تمّوز ١٨٥٥ يقول فيها ما حرفيّته[1]:

«حاري خير سرا ٩ تمّوز ٥٥

نخبركم أنّنا قد تداولنا ههنا مع الإخوان جهة قاضي المجلس وما أحد منهم قبل أن يكون فيه قاضيًا الفاخوريّ بل جميعهم يرضون رجوع الحاج إليه إلاّ الأخ مراد فيقول إنّه وإن كان الحاج هو الأحسن لكن لا فرق عندنا إن كان يرجع إلى المجلس الحاج أم الفاخوريّ وأمّا نحن حيث تقرّرت لنا جملة أشياء عن الفاخوريّ كما لا يخفاكم فذمّتنا لا تطاوعنا أن نرضى أن يكون قاضيًا في المجلس لئلاّ نعود ملتزمين أن نعطي الجواب ومن ثمّ حيث إنّ الحاج هو الأحسن والأكثر استحقاقًا وقد كان منتخبًا قاضيًا في المجلس من بطريرك الطايفه وأساقفتها وقيمقامها وله حقّ في هذه الوظيفة التي تعاطاها بكلّ استقامة ولا يترك حقّه فيها وعليها فمرغبونا أن يرجع هو قاضيًا إلى المجلس. ثمّ إنّ سعادته أيّده الله قد صار منضحًا لديه بالكفاية بأنّ الفاخوريّ غير مقبول منّا

(١) تُنشر للمرّة الأولى.

ومن الإخوان ومن أكثر الجمهور ولذلك طالب الآن عن يد أحد الإخوان أن نعيّن قاضيًا مؤقّتًا في المجلس أحد الكهنة أو علمانيًّا يتقدّم إلى الإرتسام كاهنًا من الذين يعرفون الشريعة ونحن لحدّ الآن ما جاوبناه بشيء من ذلك لمعرفتنا بأنّ القاضي المؤقّت في المجلس لا يناسب لأسباب لا تغيبكم ومع ذلك سنتبصّر في هذا الأمر. وقبلا بمواجهتنا الأخيرة معكم فهمنا منكم بأنّ الأخين أنطونيوس وإسطفانوس جاوبا الذي خاطبهم بشأن الفاخوريّ بأن رأيهما كرأينا.

ورأى باقي الأخوان بعدم قبول الفاخوريّ قاضيًا فلزم إفادتكم بذلك جميعه لتكونوا أنتم وهما على هذا الاعتماد والعزم وتجاوبوا بعدم قبول الفاخوريّ قاضيًا إذا خاطبكم سعادته أو خلافه في هذا الأمر كما هو اعتماد وعزم الأخوان هنا وحيث الأخ أنطونيوس بالقرب منكم فواجهوه وأفهموه ذلك والأخ أسطفانوس إذا لم تمكنكم مواجهته أرسلوا له أحد الكهنة الذين توثقون بهم ليواجهه وينهمه عن ذلك وهذه المادّة تخصّ الذمّة ويجب أن يتلاحظ فيها الحقّ والعدل ومن ثمّة لا تتوقّع معاطاتها إلاّ بموجب الذمّة كما لا يغيبكم وهذا كاف مع مزيد ملحوظكم.

٩ تموز / ٥٥

حاوى خير سرا

إنّ سعادة الجنرال القنصل لا يمكن يرضى أن يكون الفاخوريّ قاضيًا في المجلس كما من المعلوم يكون ملفكم ذلك وعلى ما فهمناه أنّه عرف سعادة القايمقام عن هذا الأمر وكذلك مادّة الفاخوريّ غير فهيم في رومية فالنتيجة لا يتوقّع رجوعه إلى المجلس بكلّ الأحوال.

أمّا الوثيقة التالية[1] فهي رسالة وجّهها بتاريخ ٢٧ أيلول ١٨٥٥ ريشارد وود إلى أحد الآباء الموارنة في دمشق ـ حيث كان ريشارد وود قنصلاً لبريطانيا ـ يتكلّم فيها عن الخوري أرسانيوس الفاخوريّ وعن دوره في حوادث لبنان عام ١٨٤٠ وصاعدًا تثبّتها فيما يلي بحرفيّتها لأهمّيّتها البالغة:

(١) تُنشر للمرّة الأولى.

وأيها الأب الجزيل الاحترام،

غب أهدا واجبات الإكرام بمزيد الاحترام والتماس صالح دعاكم على الدوام وجزيل الأشواق الوافرة لمشاهدة نور وجهكم الكريم بكلّ خير وعافية المبدي لحضرتكم أنّنا منذ كم يوم حضرنا لمحلّنا بدمشق وكنّا مؤملين أن نشاهدكم بها فأخبرونا عن توجّهكم بالسلامة لقصد تشرّفكم بلثم أيدي قدس السيّد البطريرك الكلّيّ الشرف والطوبى ولذلك نغتنم هذه الفرصة أن نكلّف أبوّتكم بالسعي في إتمام مصلحة نعتبرها من أهمّ المصالح التي تقتضي لنا في بلاد سوريا وهي قضيّة إرجاع حضرة معلّمنا الأب الخوري أرسانيوس المحترم إلى وظيفته لأجل ردّ الإهانة التي حصلت لاعتباره بواسطة دفعه منها وذلك بأنّ حضرتكم غب تشريفكم بمقابلة غبطته ونيابتكم عنّا بتقديم التكريمات اللايقة في سموّ مقام قداسته أن تلتمس من سيادته انعطاف خاطره الشريف لإجابة مسئولنا حيث لنا حقّ العدالة على طوباويّته بأنّ مسئولاتنا تكون لديه بالإجابيّة أوّلاً لكوننا أسبق كافة الأروبيّين في مودّة غبطته ثانيًا أنّه لا يغرب عن معارف سيادته الشريفة كم وكم لنا من الأتعاب والمساعدات في قضاء مصالح كلّيّة وجزويّة عايدة لمنفعة أبناء النصرانيّة في عربستان خصوصًا لجهة الطايفة المارونيّة المحبوبة لدينا ثالثًا لأنّ هذا كان باعتناء وشور حضرة الأب أرسانيوس المومى إليه الذي يستحقّ مزيد الاعتبار والتكريم بمقابلة جهده وغيرته على مصالح أبناء طايفته رابعًا أنّ من بعد صداقة ومحبّة هذا الأب لنحونا مدّة تنوف العشرين سنة فلا يحقّ لنا أن نصرف النظر عن مساعدته فيما يعود لشرفه ورفعة اعتباره وهذا سهل جدًّا إذا انعطف خاطر غبطته لاجرايه حيث لم بعد مانع يمنع من جهة الكرسيّ الرسوليّ وصارت القضيّة منوطة لاستحسان طوباويّته إلاّ إذا كان يوجد ملاحظات باطنيّة تعرقل سلوك إيجاب ما يتقدّم التماسه من طرفنا فإذا كان سيادته كما نؤمل لم يجعل هذه الملاحظات سببًا كافيًا لتوقيف إجابة مسئولنا وتكرم بالملاحظة الشخصيّة لنحو سلوكنا في مصالح الملّة فيسهّل على قداسته الانعطاف لإجراء التماسنا إذ إنّنا في كلّ وقت نؤمل من غيرته إجراء المساعدة فيما نسأله من الأمور الجسيمة فضلاً عن هذه القضيّة التي ولئن اعتبرناها كلّيّة بالنظر إلى الأسباب المتقدّمة إلاّ أنّها في حدّ ذاتها لا تحسب إلاّ من الجزئيّات ولذلك لا نشكّ في مكارم أخلاق سيادته وحسن مساعيكم الجميلة أن يكون

الجواب إلاّ بالإيجاب ويصير ذلك سببًا كافيًا لتشرّفنا شخصيًّا بنادي قداسته لتقديم التشكّرات الواجبة علينا هذا ونؤمل عدم سهونا في صلواتكم البارّة ودام بقاكم. في ٢٧ أيلول سنة ١٨٥٥.

ريجارد وود»

كما أنّنا عثرنا بين أوراق البطريرك مسعد على رسالة من قنصل بريطانيا في بيروت السيّد مور[1] موجّهة إلى الخوري أرسانيوس الفاخوريّ مؤرّخة في ١٨٥٥ يقدّم فيها الدعم المعنويّ والماديّ للخوري المذكور في قضيّته، مع الإشارة إلى أنّ القنصل وود كان أخًا لقرينة القنصل مور[2]

«حضرة الأب المحترم الخوري أرسانيوس الفاخوري قاضي مجلس قايمقاميّة النصارى في لبنان دام بقاءه

غب اهداء حضرتكم واجبات الإكرام بمراسيم المودّة نخبر حضرتكم أنّه قد بلغني بغمّ صدور الأمر من روميه بأنّكم تركوا وظيفة القضاويّة في مجلس النصارى التي صار لكم جملة سنوات متوظّفين بها فالذي يزيدني غمًّا لأنّ الباعث المزعوم عنه ليس هو السبب الحقيقيّ فالآن لعلمي غيرتكم لخير المصلحة أومل بأنّكم تبقوا متعاطين واجبات وظيفة القضاويّة لبينما يصير إمكان لانتخاب شخص لايق بالوظيفة وكلّ غرض يلزم من هذا الجانب رهين الإعلام ودام الله بقاكم

محبّ مخلص

نيفن مور

قونسلوس»

---

(١) تُنشر للمرّة الأولى.

(٢) يراجع: Jouplain, *La Question du Liban*, p. 202 - 1961

القسم الثاني: مؤلّفات الخوري أرسانيوس الفاخوريّ

يُعتبر الخوري أرسانيوس من رجال النهضة الأدبيّة والثقافيّة اللبنانيّة. «وكان كثير النظم جيّد القريحة غزير المادّة ينشد الشعر عفوًا دون تصنّع»، على حدّ قول الأب شيخو، وقد ترك مؤلّفات عديدة نشر بعض منها في أيّامه وما يزال القسم الأكبر منها غير مطبوع. وسنتطرّق تباعًا إلى مؤلّفاته المطبوعة أوّلاً، ومن ثمّ إلى مؤلّفاته المخطوطة.

أوّلاً: المؤلّفات المطبوعة

١ ـ روض الجنان في المعاني والبيان: يقع في ٥٥٩ صفحة ـ وطُبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت عام ١٨٦٧. ويقول يوسف الفاخوريّ[1] إنّه «طبع منه ألف نسخة بالمطبعة الكاثوليكيّة على نفقة حضرة الآباء اليسوعيّين».

٢ ـ زهر الربيع في فنّ البديع: ٤٤ صفحة ـ طُبع بالمطبعة العموميّة في بيروت سنة ١٨٦٨، وذلك «تحت مناظرة حضرة الأب الخوري يوسف الفاخوريّ، أخي المؤلّف»، كما ورد في الصفحة الأخيرة من النبذة.

٣ ـ الميزان الذهبيّ في الشعر العربيّ ـ ٨٠ صفحة. طُبع في بيروت في المطبعة العموميّة سنة ١٨٧٢، «وقد تمّ طبع هذه الرسالة تحت مناظرة حضرة الأب الجليل الخوري يوسف الفاخوريّ، أخي المؤلّف الجزيل الاحترام، وذلك بنفقة حضرة الخواجات المحترمين جورج وأخيه بشاره ميخايل مرزا»، كما ورد في الصفحة ٧٩ قبل الأخيرة من الرسالة. ويقول الأستاذ يمّين في مقاله عن يوسف الفاخوريّ المنشور في عدد ٤ شباط ١٩٨٦ من جريدة النهار أنّه طُبع من هذا الكتاب ٥٠٠ نسخة، مستندًا في ذلك إلى مقال المعلّم يوسف الفاخوريّ المشار إليه أعلاه.

---

[1] يوسف الفاخوريّ: ملخّص ترجمة حياة المثلّث الرحمة والطيب الذكر الشاعر المطبوع الخوري يوسف الفاخوري ـ مجلّة الحقيقة عدد ١٠ ـ ١٢ من عام ١٩٠٦ ص ٢٤٩.

ثانيًا ـ المؤلّفات المخطوطة.

١ ـ شرح ديوان الحبر العلاّمة المطران جرمانوس فرحات. وهو شرح مطوّل يقول الأب شيخو أنّ هذا الشرح لم يُطبع، في حين أنّ الأستاذ محسن يمين، في مقال له عن «يوسف الفاخوريّ»[١]، يقول إنّ هذا الشرح قد طُبع مصحّحًا بقلم سعيد الشرتونيّ سنة ١٨٩٤ في طبعة ديوان المطران عن المطبعة الكاثوليكيّة».

٢ ـ كتاب كفاية الطلاّب في التصريف والإعراب ـ وهو كتاب مطوّل في الصرف والنحو.

٣ ـ قواعد اللغة السريانيّة.

٤ ـ شرح ديوان المتنبّي.

٥ ـ مجموع مواعظ مختلفة كان ألّفها لنفسه وتلامذته[٢].

٦ ـ ديوان شعر ينيف على ٤٤٠ صفحة ـ «فيه القصائد الحسنة ذات المعاني المبتكرة والمواضيع الشريفة، منها دينيّة ومنها علميّة وأدبيّة، وفي كلّها من التفنّن ما لا ينكر»[٣]. وقد نُشر من هذا الديوان عدّة قصائد في مجلّة المشرق وفي المجلّد الأوّل من المؤلّف أطرب الشعر وأطيب النثر الخاصّ بأطرب الشعر الصادر عام ١٩١١ عن المطبعة الكاثوليكيّة.

القسم الثالث: مخطوطة تاريخ ما توقّع في جبل لبنان من شهر أيّار ١٨٤٠ وصاعدًا إلى حدّ نهاية هذا التاريخ.

ورد في المجلّد الخاصّ بمخطوطات مكتبة الجامعة الأميركيّة في بيروت[٤] الوصف التالي لمخطوطة الخوري أرسانيوس الفاخوريّ وفقًا لما يلي:

---

(١) محسن يمين: يوسف الفاخوريّ مدبر المدروس العربيّة ـ جريدة النهار، عدد الثلاثاء ٤/٣/١٩٨٦.

(٢) شيخو، المرجع المذكور، ص ٦١٥.

(٣) شيخو، المرجع ذاته، ص ٦١٥.

(٤) الدكتور يوسف خوري، المخطوطات العربيّة الموجودة في مكتبة الجامعة الأميركيّة في بيروت ٤٢٨، طبع عام ١٩٨٥.

تاريخ حوادث جبل لبنان من سنة ١٨٤٠ فصاعدًا

الخوري أرسانيوس فاخوريّ.

٣٨ ورقة. الورق سميك. وصلة بين الأوراق.

٢٢,٥ × ١٥,٥ سم ـ ١٨ × ١١,٥ سم ـ ٢٣ سطرًا. قاعدة الخطّ النسخيّ. ناقص.

أوّله: تاريخ ما توقّع في جبل لبنان من شهر آيار سنة ١٨٤٠ وصاعدًا على حدّ نهاية هذا التاريخ وبالله التوفيق.

آخر: وحصلوا على غاية الأمنية والراحة حتّى إنّ البعض منهم الذين نزحوا مع العصاة المذكورين..

عنوان الكتاب على ورقة في الصدر بخطّ الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف.

على صفحة الغلاف اليمين من الداخل فهرست الكتاب بقلم الأستاذ المعلوف. وضع الأستاذ المعلوف حاشية بعد السطر ٢ الأوّل من الورقة الأولى قال فيها: أرجّح أنا مقتني الكتاب عيسى إسكندر المعلوف أنّ واضع هذا التاريخ الخوري أرسانيوس الفاخوريّ بخطّ يده.

أطلب المخطوط السابق ذي الرقم ١٠٠٣ لزيادة التحقيق.

وضع خطّ أحمر تنبيهًا إلى إلمام من الحوادث.

الصفحات مرقّمة بحبر أحمر.

(مكتبة عيسى إسكندر المعلوف سنة ١٨٩٣، عدد ٥٢٨).

(رقم التصنيف (ms 956,9: T18 A & mic-A-449) سابقًا رقم ٧٩١.

كما تقتضي الإشارة إلى أنّه في مكتبة الجامعة الأميركيّة نسخة أخرى من هذه المخطوطة نسخها عن الأصل الدكتور أسد رستم، ولكنّه توقّف في الصفحة ٢٧ من المخطوط الأصليّ، أي الورقة ١٤ منها. وقد أشار المرجع المذكور إلى هذه المخطوطة وفقًا لما يلي[1]:

(١) الدكتور يوسف خوري: المرجع المذكور، ص ٤٢٤.

تاريخ ما توقّع في جبل لبنان من شهر أيّار سنة ١٨٤٠ وصاعدًا إلى حدّ نهاية هذا التاريخ.

الخوري أرسانيوس الفاخوريّ.

٢٨ ورقة. الورق عاديّ مسطّر. وصلة بين الأوراق.

٣٠,٥ × ٢٠ سم ـ ٢٣ × ١٤ سم ـ ٢٨ سطرًا. قاعدة الخطّ العاديّ.

أوّله: إنّه في ابتداء فصل الربيع بالسنة المذكورة (شهر أيّار سنة ١٨٤٠).

آخر: وأوجه الأهالي دخلوا ما بينهم ومنعوا القتال وصالحوا الفريقين ثمّ بعد مدّة وجيزة توجّه...

جاء في الصدر (نسخها) عن الأصل الموجود الآن في مكتبة عيسى إسكندر المعلوف والذي هو على ورق صكوكيّ رقيق ٢٢ س × ١٦ في ٧٦ صفحة كاتبه أسد رستم:

هناك تعليقات على الهوامش.

أطلب المخطوط المرقوم أعلاه تجد الكتاب وهو بعد الورقة ٩٣.

النسخة المخطوطة بقلم الأستاذ الدكتور أسد رستم.

(رقم التصنيف ms 956.9: m 395 AC. 2 and mic-A-449) ومخطوط رقم ١٠١٥ أدناه. سابقًا رقم ٧٧٦».

أمّا لجهة الملاحظات المنهجيّة الخاصّة بهذه المخطوطة فمن الممكن ابداء ما يلي:

١ ـ عدم إكمال المخطوطة من قبل المؤرّخ.

إنّ مخطوطة الخوري أرسانيوس الفاخوريّ المتعلّقة «بحوادث لبنان ابتداءً من شهر أيّار ١٨٤٠ وصاعدًا هي ناقصة. فأمّا أن يكون الخوري المذكور لم يتمّه من تأليف تاريخه أو أمّا أتت أيدي الضياع على الصفحات الأخيرة من المخطوطة. مع الإشارة إلى اقتناعنا بأنّ الخوري أرسانيوس لم يتمكّن ـ أو لم يرغب ـ وهذا ما يُستدلّ عليه من قراءة كامل عنوان المخطوطة، بإتمام مؤلّفه. تقتضي الإشارة إلى أنّ عيسى إسكندر المعلوف الذي حصل على هذا المخطوط

في مكتبته عام ١٨٩٢ وقام ببيعه إلى مكتبة الجامعة الأميركيّة عام ١٩٢٥[١] لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أنّ هذه المخطوطة ناقصة.

ولكن وفي مطلق الأحوال، لقد حاولنا عبثًا الجزم في الموضوع، ولكن لم نتمكّن في الحصول على نسخة أخرى لهذا التاريخ ولم يُستَهْدَ حتّى الآن إلى نسخة أخرى غير تلك التي هي في مكتبة الجامعة الأميركيّة. ولم نتمكّن أيضًا من التثبّت من زعم الآب شيخو، في مؤلّفه عن «المخطوطات العربيّة لكتبه النصرانيّة»، أنّ هذا المخطوط من جملة المؤلّفات المخطوطة التي «لا تزال في ملك عيلته في غزير»[٢].

أمّا ما يعزّز اقتناعنا بعدم انتهاء الخوري أرسانيوس من وضع تاريخه هذا، فهو سرد بعض الأحداث دون الإشارة إلى ما آلت إليه ـ بالرغم من أنّنا نجد في هذا المخطوط عدّة صفحات قام المؤلّف بإعادة صياغتها أو شرحها وتفسيرها. فلقد أورد مثلاً في السطر الثاني من الصفحة ٥٠ من المخطوطة أنّ بعض الوجهاء ما يزالون هناك (أي في السجن) «إلى الآن» ـ أي بأنّ عبارة «إلى الآن» تعني أنّ المؤلّف كان يكتب عمليًّا تحت وطأة الأمور اليوميّة ولم يُعد النظر في ما كتبه لجهة التواريخ، بل لجهة بعض الأحداث.

٢ ـ مؤلّف المخطوط هو الخوري أرسانيوس الفاخوريّ.

تشير بعض المعلومات الواردة في صلب التاريخ، وخاصّة تلك التي تتعلّق بالخوري أرسانيوس بالذات ومشاكله في وظيفته مع الشيخ فرنسيس الخازن والحكمدار في الصفحات ٥٣ ـ ٥٥ من المخطوطة، أنّ الخوري أرسانيوس الفاخوريّ كان وحده على علم بها ـ كما أنّ عيسى إسكندر المعلوف كان قريب العهد من الخوري المذكور عندما حصل على هذه النسخة من تاريخه ورجّح أنّ مؤلّف التاريخ هو الخوري أرسانيوس الفاخوريّ بالذات. ولا يبدو في مطلق الأحوال أنّ هناك أيّة فائدة علميّة من التفتيش على مؤلّف آخر نظرًا

---

(١) مجلّة الكليّة ص، سنة ١٩٢٥.

(٢) شيخو، كتاب المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة، صفحة ١٥٨، طبع عام ١٩٢٤.

إلى تكاثر التأكيدات والإثباتات في هذا المجال وإشارة عيسى إسكندر المعلوف والأب شيخو صراحةً إلى أنّ الخوري أرسانيوس الفاخوريّ هو مؤلّف هذا التاريخ.

٣ ـ إنّ المخطوطة هي بخطّ الخوري أرسانيوس الفاخوريّ.

إنّ المخطوطة الموجودة في مكتبة الجامعة الأميركيّة هي بخطّ أرسانيوس الفاخوريّ أو على الأقل أملاها لكاتبه، لأنّنا نجد في عدّة صفحات إعادة نظر في صياغة الموضوع أو في شرح الأسباب أو تحويل أو إلغاء ـ وهي كلّها من الأمور التي لم يقدم عليها ناسخ عليه نسخ المخطوطة بحذافيرها فقط، دون النظر إلى إعادة صياغة المعاني والشكل وشطب بعض الفقرات.

وإذا راجعنا ما كتبه القنصل ريجارد وود في الرسالة التي أشرنا إليها سابقًا بأنّ كلّ عمله «كان باعتناء وشور حضرة الأب أرسانيوس المومى إليه الذي يستحقّ مزيد الاعتبار والتكريم بمقابلة جهده وغيرته على مصالح أبناء طائفته»، يتبيّن لنا أنّ التاريخ هذا ذات أهمّيّة بارزة لأنّه المستند الوحيد لهذه الحقبة من الزمن تروي لنا الحوادث مثلما عاشها وعاصرها كاهن مثقّف ذو علم بخلفيّات الأمور. وهذا ما يظهر جليًّا من قراءة نصّ هذا التاريخ، إذ إنّ المؤرّخ يأتي على ذكر تصرّف بعض الحكّام والأولياء من المستحيل أن يطّلع عليها شخص آخر مطّلع بالكفاية على تطوّر الأحداث وخفاياها، وهو يبيّن خاصّةً كيف أنّ الصراع في لبنان، الذي بدأ دوليًّا، تحوّل إلى صراع سياسيّ داخليّ ومن ثمّ طائفيّ لم يرحم تدريجيًّا أحدًا من سكّان الجبل.

٤ ـ لغة المخطوطة

إنّ لغة المؤلّف في المخطوطة هي بسيطة ـ لا بل ركيكة ـ في بعض الأحيان، مثلما يتبيّن للقارئ. ولكن لا شكّ بأنّ المؤلّف، الذي لم يلقِ نظرة ثانية نهائيّة على مؤلّفه، رغب في تقويم خفايا الأمور وأسبابها بلغة بسيطة، ولكن بمنهجيّة واضحة. ويبقى القارئ تحت وطأة هذا الوضوح في التحليل، ممّا يُثبت أنّ المؤلّف لم يكن شخصًا عاديًّا، بل عالمًا بمختلف الأمور لتمكّنه من سردها بهذه المنهجيّة.

وخلاصةً للأمر، فإنّ هذا المخطوط، بالرغم من أنّه ناقص، يرشدنا إلى مجالات غامضة من تاريخ لبنان الحديث ويستوحى منه المحاولة الحثيثة المستمرّة للمؤلّف لإبراز الأسباب السياسيّة لأزمة لبنان الطائفيّة في القرن التاسع عشر وكيف أنّ مختلف الطوائف اللبنانيّة وخاصّة منها الدرزيّة والمارونيّة قد خسرت، بفضل دهاء السياسة العثمانيّة، كلّ شيء ومنها الاستقلال الذاتيّ المحدود التي عرفه خلال الفترة الممتدّة بين ١٥١٦ و١٨٤٠، من جرّاء دسائس موظّفي الدولة العثمانيّة الذين تمكّنوا ببراعة فائقة من قطع الطريق على جميع وسائل التقارب التي تميّزت بها الطائفتان خلال فترة ما يزيد على ثلاثة قرون وربع القرن. فانفجر الصراع الطائفيّ بين اللبنانيّين تحت مظلّة عثمانيّة دقيقة التصرّف للتحكّم بمصير هذه الطوائف الصغيرة التي كانت تفكّر، من خلال الحرب والتناحر، في الحصول على كلّ شيء، في حين أنّ الخطّة التركيّة كانت ترغب، من خلال الحرب، حملها على فقدان كلّ شيء لصالحها.

فالخوري أرسانيوس الفاخوريّ هو الشاهد العيان لهذه الحقبة من الزمن وقد رغب في تسجيل وقائعها حفاظًا من النسيان ولتكن أمثولة للأجيال القادمة.

من منشورات دار المشرق التاريخيّة

- أحوال النصارى في خلافة بني العبّاس، للدكتور جان موريس فيه
- الحضارات، للبيب عبد الساتر
- تاريخ العلوم عند العرب، للدكتور أنطون ـ حيد موراني

- *Damas au VII^e/XIII^e s. Vie et structures religieuses dans une métropole islamique*, par L. Pouzet, S.J.
- *Mossoul chrétienne*, par J.-M. Fiey.
- *Histoire et Institutions de l'Eglise arménienne*, par J. Mécérian, S.J.
- *Damas et Bagdad, capitales et terres des califes*, par J. de Maussion de Favières
- *Damascus and Baghdad, capitals and lands of the caliphs*. by J. de M. de Favières.
- *Le rôle du Collège Maronite Romain dans l'orientalisme aux 17^e et 18^e s.*, par P. Raphaël
- *Byblos through the ages*, by N. Jidejian
- *Tyre through the ages*, by N. Jidejian
- *Sidon through the ages*, by N. Jidejian
- *Tripoli through the ages*, by N. Jidejian
- *Baalbeck «City of the Sun»*, by N. Jidejian